تداولية الأفعال الكلامية في ديوان هاشم الرفاعي

إعداد الباحث
حمادة صبري صالح

قبل نقاد الأدب فكرة الإنجازية بوصفها أحد الأمور التى تساعد على تمييز خصائص الخطاب الأدبى ، وأكد المنظّرون طويلًا على أننا يجب أن نعنى بما تفعله اللغة مثلما نعنى بما تقول ، ومفهوم الفعل الإنجازي يقدم تبريرًا لغويًا وفلسفيًا لهذه الفكرة ؛ أي : أن هناك صنفًا من المنطوقات يفعل شيئًا ما فى الغالب ، وأنَّ المنطوق الأدبي مثل الإنجازي ، "لايشير إلى الحالة التي كانت عليها الأمور سلفًا فحسب ، ذلك إنَّه يخلق الحالة لأموره ،أو شئونه التي يسير إليها في العديد من الوجوه ونختار منها وجهين وهما:

أ- يُحدِث،أو يُوجِد الشخصيات أو أفعالها .

ب- يُحدِث، أو يُوجِد الأفكار والمفاهيم التي ينشرها"[١].

إنّ الإنجازية – بإختصار–" تركز الانتباه على استعمال اللغة بوصفها نشاطًا وصناعة للعالم تشبه اللغة الأدبية، التي كان ينظر إليها سلفًا على أنها شئ هامشي،وتساعدنا على أن نفكر في الأدب بوصفه فعلًا، أو حدثًا"[٢] .

إن العلاقة بين أفعال الكلام والأدب "قد لا تتوقف عند اعتبار ماقدمته التداولية في مجال التفكير حول اللغة ، وبالفعل فهي تدفع إلى تمييز خصوصية الملفوظات الأدبية باعتبارها أفعال كلامٍ حيث إنّ الأدب مكون من أفعال وليس ملفوظات معزولة وإن كان ليس بإمكاننا حصر الخيال الأدبي في موقف المتكلم بالنسبة لتلفظه الخاص بما أنه من بين خصوصيات الخطاب الأدبي جعل مفهوم المتلفظ نفسه مسألة إشكالية وتمييز الشخص الذي يكتب عن صور الكاتب التي يمكن أن تحددها المؤسسة الأدبية "[٣].

إنَّ النظر إلى الأدب بوصفه منطوقًا إنجازيًا في صالحه" من حيث إنَّه ليس مقولات زائفة

---

[١] - جونثان كولر ، مدخل إلى النظرية الأدبية ، ،١٣٥.

[٢] - السابق نفسه.

[٣] - دومينيك مانقينوا ، تداولية الخطاب الأدبي ،دراسة وترجمة : منى بدري ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب جامعة الجزائر ، العام الجامعي ٢٠٠٨ ، ٨٢.

وتافهة ، ولكن يأخذ موقعه بين أفعال اللغة التي تحول العالم خالقة للأشياء التي تسميها"[١].

إنجازية الشعر

إن التمثيل لأي خطاب يمتلك فاعلية بالغة ؛ لاتكائه على تاريخ من الخبرة الجمالية ، وتفعيله لأقصى مستويات اللغة في التأثير ، وللشعر خاصية الموسيقى التي تنفعل لها النفوس وتتأثر بها القلوب،والتي تعد جوهر الشعر وأقوى عناصر الإيحاء فيه ، وذلك من خلال امتلاكه الوزن والإيقاع الذي يُولّد ذلك التناغم فتطرب له النفوس وتتفاعل معه، فالوزن هو الوسيلة التي تمكن الكلمات من أن يؤثر بعضها في البعض الآخر على أوسع نطاق ممكن .

هذا فضلًا عن أنَّ العرب كانوا يعتقدون بوجود علاقة بين الجن والسحر والشعر ، وكانوا ينسبون الموهبة الشعرية لشيطان يوحيها ، والإخبار عن هذا الاعتقاد ينتشر في كتب الأدب والتاريخ العربية ، "ولعل حيرة العرب أمام شدة تأثير هذه الكلمات المنمقة الحكيمة ، وعدم مقدرتهم على فهم مصدرها وتعليل تأثيرها ، هي التي ردت الاسباب إلى قوى خارجيه جعلت للشعر مركزًا مرموقًا"[٢] ، وليس أدل على هذا من الخبر الأتي : " كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنئتها بذلك، وصنعت الأطعمة ، واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، وتباشر الرجال والولدان ؛ لأنَّه حماية لأعراضهم، ونب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم ، وإشادة بذكرهم ، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد ، أو فرس تنتج، أو شاعر ينبغ فيهم " [٣].ولاريب أنَّ قدرة الشاعر هذه على الفعل في المتلقي ، قد حملت المجتمع العربي على الإقرار بسلطة الخطاب والاحتفاء بها وبأصحابها شعراء كانوا أو خطباء ، وما الاستعاذة من فتنة القول الا إقرار صريح بسلطة النص وقدرة صاحبه التأثيرية حتى ليصور الحق في صورة الباطل والباطل في

(١) - جوناثان كولر، مدخل إلى النظرية الأدبية ،١٣٥.

(٢) - ريتشاردز ،مبادئ النقد الادبي ،١٩٤.

(٣) - د.مصطفي درواش ، خطاب الطبع والصنعة "رؤية نقدية في المنهج والاصول" ،١١٠.

صورة الحق .

وإذا بالشعر مُحَرّك تاريخي يصنع الأحداث أو يغير مجراها ، ويوجهها نحو الغاية التي يريد الشاعر.

ولاريب أنَّ الوعي الكامل لحقيقة دور الشعر بوصفه سلاحًا فتاكًا في وجه الخصوم ، وناشرًا للمآثر يؤثّر في الرأي العام ،وسجلًا خالدًا لايبلى ... جعل أغلب الدارسين لايعُدّ الشعر فنًا إبداعيًا فحسب ، بل هو فكر وتصورات ومفاهيم لها أثرها اللغوي الفاعل في نفوس المتلقين وتوجهاتهم ، فالشعر " ليس كلمات مصفوفة على ورقة أو في كتاب ولكنه بناء ينهض داخل نفسية المتلقي "(١).

ولعل من الضروري أن نضيف ملحوظة مهمة في هذا الإطار تتصل بقيمة البيئة الثقافية في تحديد وظيفة الشاعر الفعلية (التأثيرية)، فالشعر " لا يؤثر في الآخرين ويُغَيّر من سلوكهم ومواقفهم ، ويبدل من واقعهم إلا إذا كان منخرطًا في نظرية بلاغية تُسَلِم للشعر بهذه القدرة العجيبة وتعترف بسلطانه على النفوس والعقول من جهة، ومخاطبًا من جهة أخرى متلقين يعترفون للشاعر بمنزلة الريادة ويعدونه بمثابة الرائد القادر على الفعل والتأثير"(٢).

ولا يخفى أن الشعر في الحقب الماضية كان له حضور كبير ومؤثر في نفسية المتلقي .

وهذه الخصائص التي ميزت الشعر عن سواه من فنون الأدب الأخرى مما جعله أقدر على حمل مضامين الخطابات المختلفة التي تدعو إلى إنجاز أعمال أو أفعال في أثناء النطق بها .

الأفعال الطلبية في شعر هاشم الرفاعي:

تتمثل الأفعال الكلامية في هذا المقام في الطلبيات والتي تتناسب مع السياق الذي ترد فيه إلا إنها تخرج عن الأغراض الأصلية التي وضعت لها ،وقد صيغت في هيئة طلبية تستدعي مطلوبًا

(١)- د. محمد عبداللطيف، الخطاب في الشعر، دار البركة ،عمان ، الأردن ،ط١، ٢٠٠٣ ،١٦٩.

(٢) - د.سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ،عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠٠٨، ٧٤.

يُثْبِت حصوله بتلفظه وهو طلب المشاركة التخاطبية التي تمثل العوض عما افتقده الشاعر أو مايود حصوله مثل استنهاض الهمم والثورة على الاستبداد والطغيان .

وتعمل هذه الأغراض الشعرية الطلبية على استدراج المخاطبين عن طريق الاستفهامات والنداءات والأوامر والنواهي .....إلخ ،والتي تخرج إلى الاستمالة في حالة انعدام ردود الأفعال المنتظرة أو المفترضة ،وتتضافر هذه الأساليب لزيادة القوة الإنجازية للأفعال فقد نجد الاستفهام مع الأمر في البيت الشعري نفسه والمرجح والحال كذلك مايتلاءم مع قصد المتكلم في ذلك السياق التواصلي من خلال الاعتماد على الغرض المتضمن في القول في ذلك الموضع ،ونحن لانطلق حكمًا قيميًا على الأفعال الكلامية من حيث قدرتها على الإنجاز والتأثير في المتلقي ، وبالتالي القول إنها ناجحة من حيث تطبيق القوة الإنجازية على المتلقي ،بل حتى وإن لم تدفعه للإنجاز ،فإنها على الأقل توجهه للفعل حيث تجعله يتفاعل مع مايطرحه المتكلم من أفكار .

وهاشم الرفاعي كان يهدف إلى إسماع صوته لكل ذي نخوة أو صاحب قرار وأحسن استغلال قدراته في مد جسور التواصل مع متلقيه مستغلًا مايملكه من أدوات اللغة داعمًا فكرة المشاركة ؛ ليكسب اهتمام المتلقي بما يقوله وليفسح المجال داخل القصائد لتقديم أفكاره [1] .

وهانحن نعرض في السطور التالية للأفعال الكلامية في هيئتها الطلبية شعرهاشم الرفاعي وذلك على النحو التالي :

أ- الأمر :

يقول الشاعر في قصيدة (تحية الأشبال) – ٢٠أبريل ١٩٥٣م- :

أيها الشباب في النيل السعيد جددوا الآمال للعهد الجديد
واعملوا بالجزم والعزم الوطيد مصر نادت فاستجيبوا للنداء
سارعوا للمجد ياكنز الأمل باتحاد ونظام وعمـــل

[1] - ينظر :عائشة عويسات ،تواصلية الأسلوب في روميات أبي فراس الحمداني ،رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب واللغات ،الجامعة الجزائرية ،العام الجامعي ٢٠٠٩- ٢٠١٠م ،١٣٨-١٣٩.

كل من سارعلى الدرب وصل فاعملوا والله يرعى الأوفياء

حيث وجّه الشاعر للأشبال في مصر عدة أوامر تتمثل في (جَدّدوا ، اعملوا ، استجيبوا ،سارعوا ،فاعملوا)بصيغة الأمر المباشر إلا أن هذه الأوامر قد خرجت عن معناها الحقيقي إذا لم يأت الأمر على جهة الاستعلاء والإلزام إلا إنها أنجزت توجيهًا وحثًا ودعوة لاستنهاض الهمم للاتحاد والعمل الجاد في نظام حتى يتم لأشبال مصر تحقيق الأحلام وبناء مستقبل مشرق استجابة وتلبية لنداء مصر الغالية .

وأكثر مايميز استعمال أسلوب الأمر في شعر هاشم الرفاعي هو التعبير عن أبعاد العلاقة بالآخر لاسيما في الخروج عن الغرض الأصلي إلى أغراض أخرى تستفاد من السياق إلا إنّها في الأغلب الأعم لاتخرج عن كونها طلبًا غرضه النصح والحث والإرشاد واستنهاض الهمم لاستعادة مجد الإسلام الذي كان ، وتخليص الأقطار العربية والإسلامية من الاستبداد والاحتلال بشتى صوره .

ومن ذلك قول الشاعر في قصيدة (صوت الوطنية) – مارس ١٩٥٢م – :مؤيدًا ترشيح النحاس في الانتخابات :

تقدَّمْ فأنت اليوم من يتــقدَّم برمنا بها فوضى وطال التبّرم

قضية وادي النيل ضيَّعها الهوى وأنت لها أقبل ففي النيل مأتم[1]

حيث توجّه الشاعر (المتكلم) بالأمر للنحاس زعيم حزب الوفد بالتقدم والإقبال على الترشح في الانتخابات فهو الذي يستطيع أن ينتصر لقضية وادي النيل مستعينًا بفعلي أمر هما (تقَّدم ،أقبل)ليس على الوجه الحقيقي للأمر وإنمّا التماسًا ورجاءً ؛ لأن الشاعر لايملك سلطة الإلزام أو الاستعلاء ولذلك نرى أن الشاعر يتقدم بالأمر ثم يُقدم يعلل طلبه حيث قدّم الأمر في قوله (تقدَّم) ثم علل (فأنت اليوم من يتقدم) وقال (أقبل) ثم علل (ففي النيل مأتم) ،وبالتالي فقد فرضَ الموقف التواصلي أفعالًا متضمنة في القول تستمد قوتها الإنجازية من السياق .

[1] - ديوان هاشم الرفاعي ،٢١٦.

ويقول الشاعر في قصيدة (مولد الرفاعي) – مايو ١٩٥٢م – والتي ألقاها في الليلة الختامية لمولد جده هاشم الرفاعي بأنشاص الرمل :

دع الوجد واترك ذكرك العشق جانبًـا وكف عن التشيب وسلْ الغوانيا

وســـربالقوافي نحو قوم أعـــزة ومجّد بذكر الأكرمين القوافيـا

رجال إذا ماالمُزن ضنت بمائهـــــا هم القطر كلا بل هم الغيث هامياً[١]

حيث يجرّد الشاعر من نفسه شاعرًا آخر يلتمس منه ترك الحديث في العشق والوجد والتوجه لمدح القوم الأكرمين وهم جدوده – فهم أهل السماحة والندى وبذكرهم تمجّد القوافي إلا أن الشاعر لايملك سلطة الإلزام أو الاستعلاء على الشاعر (المتكلم) بسبب التماسه مدح أجداده في البيت الثالث بالإضافة إلى أنَّ الأبيات تحمل ملمح آخر وهو المدح والثناء على جدوده الأكرمين ، وقد كان السياق مصدر القوة الإنجازية المستمدة اعتمادًا على الأفعال المتضمنة في القول والتي فرضها الموقف التواصلي .

ويقول الشاعر في قصيدة (جهاد ضائع) – عام ١٩٥٢م– مستنكرًا قبول وزارة علي ماهر المفاوضات مع الإنجليز وتوقف حركة الفدائيين :

ياقوم جدّوا واعملوا ،فعدونا لايعرف التصفيق والتهليلا[٢]

حيث يستنهض الشاعر همم شباب الفدائيين خاصة وشباب مصر عامة موجهًا لهم الأمر في قوله (جدّوا ،واعملوا) ليس على جهة الاستعلاء أو الإلزام وإنما على جهة الحث والنصح والتوعية حيث إن الشاعر (الآمر) متساوٍ مع المأمورين في االرتبة لذلك اضطر إلى تعليل الأمر في قوله : فعدونا لايعرف التصفيق والتهليلا ؛والأمر إذا كان في مقام الاستعلاء فإنه لاحاجة له في التبرير وبالتالي فقد تحول الأمر عن معناه الحقيقي ، ليناسب مقام الإنجاز وليزيد من القوة الإنجازية المستمدة من السياق .

(١) -ديوان هاشم الرفاعي ،٣٠٠.
(٢) - السابق ،٢١٥.

ب- النهي :

يقول الشاعر في قصيدة (دماء في السودان) – أول مارس ١٩٥٤م- :

ولاتلق بالًا للوعود فإنّه كعهدك فيه مخلف الوعد كاذبه[١]

حيث أراد الشاعر أن يحذر الشعب السوداني من تصديق وعود المحتلين فاستعان بأسلوب النهي المكون من (لا) الناهية + الفعل المضارع في قوله : (لاتلق بالًا) إلا أن النهي لم يأت على جهة الاستعلاء ؛لأن الناهي لايملك من أمر المنهي شيئًا ،إنما جاء على جهة النصح والإرشاد والتوعية وقد استغل الشاعر القوة المتضمنة في النهي وصولًا إلى مقصده بل وزادته قوة إنجازية .

وقد أتبع الشاعر النهي بقوله :فإنه كعهدك فيه مخلف الوعد كاذبه) تبريرًا للنهي الذي ذكره الشاعر فهو لايملك سلطة إلزام المخاطب بتنفيذ النهي .

ويقول الشاعر في قصيدة (فتية التحرير) – ١٩٥٤م- :

نباحث أعـداءً ،إذا مارأيتـهم وقد بدَّلوا لونًا رأيت الأفاعيا

فلا تطمعوا أن يتركوا النيل عن رضى فإنا لقينا بالخداع الدواهيا [٢]

حيث أراد الشاعر أن يشير إلى أن المفاوضات مع الأعداء ضياع للوقت والجهد لاسيما أنَّهم يتلونون بألوان عدة كالأفاعي فلن يتركوا مصر إلا عنوة فقد عنينا من خداعهم كثيرًا فاستعان بأسلوب النهي في قوله (لاتطمعوا) للوصول إلى مقصده من تحذير المخاطبين ولكن النهي لم يأت على جهة الاستعلاء بل جاء ليفيد النصح والإرشاد والتوعية بكيد المحتلين ؛لذلك فقد أعقبه الشاعر بالتبرير المتمثل في قوله (فإنَّا لقينا بالخداع الدواهيا) وبالتالي فقد خرج الأسلوب عن المعنى الأصلي إلى المعنى الذي يفرضه السياق .

ومازلنا مع أسلوب النهي المتمثل في (لاتطمعوا)ولكن في قصيدة أخرى بعنوان(مصر بين احتلالين)- أكتوبر ١٩٥٤م – حيث يقول:

---

[١] - ديوان هاشم الرفاعي ، ١٦١.
[٢] - السابق ،٢٣١.

قالوا الجلاءَ فقلتُ حُلُمُ خيال لاتطمعوا في نيل الاستقلال
ليس الجلاء خروجَ جيش غاصب إن الجلاء تحطّم الأغلال [١]

أراد الشاعر الإشارة إلى أنَّ الشعب مازال قيد الاحتلال حتى بعد جلاء الإنجليز عن مصر ،ولكن الاحتلال هذه المرة احتلال داخلي (محلي) فلا يقتصر معنى الجلاء على مغادرة الدولة المحتلة لمصر وإنما الجلاء يعني تحطم كل الأغلال وزوال الاستبداد والطغيان فاستعان في سبيل توصيل مقصده ووضعه في بؤرة اهتمام المخاطبين بأسلوب النهي المتمثل في (لاتطمعوا) إلا أنَّ النهي لم يأت على جهة الاستعلاء ؛ لأن الناهي والمنهي متساويان في الرتبة ودليل ذلك لجوء الناهي (المتكلم)إلى تبرير النهي الذي تقدم والمتمثل في البيت التالي والذي يدور معناه – كما أسلفنا– حول أنَّ الجلاء يعني تحطم كل القيود أيا كان مصدرها .

وقد استفاد الشاعر أيمَّا استفاده في هذا السياق بالقوة المتضمنة في النهي والمستدة قوتها الإنجازية الإنجازية من السياق .

ومن ذلك قول الشاعر في قصيدة (ثورة)– أواخر عام ١٩٥٢م –

يأيها الحاكم الطاغي بقوته لاتُغْر بالأزهر المعمور أشرارًا
إنْ كان في طوعك البوليس إنّ لنا يوم الجهاد قلوبًا تلقف النارا [٢]

حيث جمع الشاعر في البيت الأول بين أسلوبي النداء والنهي إلا أنَّ سياق الموقف التواصلي يرجح كفة النهي على النداء لاسيما أنَّه وإن كان كان بدأ التديد في البيت الأول إلا أنَّه أكمله في البيت الثاني ، حيث استخدام أسلوب النهي المتمثل (لاتُغر) ليس على جهة الاستعلاء وإنّما أفاد التهديد والوعيد فيحذر النظام الحاكم من مغبة التعرض للأزهر ومقرراته .

فإن كان البوليس يأتمر بأمرك فإنَّ رجال الأزهر عن الذود عنه مستعدون وعلى الموت في البيت في سبيله متفقون ،وقد نجح الشعر في استغلال القوة المتضمنة في النهي الصريح من خلال خروج الأسلوب عن المعنى الأصلي إلى المعنى الذي يفرضه السياق .

[١] - ديوان هاشم الرفاعي ،٢٥٣.
[٢]- السابق ، ٢٢٤.

جـ – الاستفهام :

يقول الشاعر في قصيدة بعنوان (آلام عاشق) – عام ١٩٤٩م– :

معلقًا عليها بقوله :"إلى التي شغلت قلبي البكر وأشعلت فيه جحيمًا لايطاق"[١].

قفا حد ثاني هل أصابكما وجد وهل أسهدت في الحب عينكما هِندُ

وهل ذقتما نار الهوى ولهيبه كما ذاقها صَبُ أضربه السهد

فالشاعر أراد أنْ يظهر فعل العشق به والمعاناة التي يحياها فجرّد من نفسه صاحبين له وتوجه إليهما باستفهامات غرضها الصريح والمباشر هو الاستخبار وطلب العلم إلا أنَّه تجاوزه إلى غيره حيث أراد به ومن خلال الاستفهامات المتعددة وأدواتها جميعًا (هل) تأسيس علاقة تواصلية وطيدة مع المخاطبين أملًا في استأنسهم بكلامه ومحاولتهم للتخفيف عنه ، لذا كان الخطاب معهم بهدف مد جسورالتواصل ، ومحاولة التأثير النفسي فيهم ؛لتوجيههم إلى قصده من الخطاب وهو إدراك مدى تأثير العشق على قلبه البكر .

ومن ذلك قول الشاعر في قصيدة (جلاد الكنانة) – مارس ١٩٥٥م – :

هبني خُدعت بكل مازيفته عن سادة الأحزاب والإخوان

هل خان قائدنا نجيب عَهدِنا أم راح نهب الحقد والطغيان [٢]

يتوجه الشاعر بخطاب شديد اللهجة للرئيس جمال عبد الناصر واصفًا إياه بجلاد الكنانة موجهًا له سؤالًا مضمونه : تخيل أنّي صدقت كل الإدعاءات المزيفة في حق الأحزاب والإخوان ،فهل خان الرئيس محمد نجيب العهد أم نهبته الأطماع والضغائن .

والشاعر لايقصد مجرد الاستخبار أو طلب العلم فإنه على علم بالإجابة إلا أنه أرد أن يوّبخ رجال النظام وعلى رأسهم جمال عبدالناصر ويظهر البطش والظلم والإدعاءات الكاذبة التي مورست على كثير من القيادات وعلى رأسهم الزعيم محمد نجيب لاسيما أن الاستفهام هنا كفعل

(١) ـ ديوان هاشم الرفاعي ،١٧.
(٢) ـ السابق ، ٢٥٥.

كلامي – يحمل استنكارًا واضحًا للظلم الواقع على أصحاب الرأي فالاستفهام مرآة تكشف أسف الشاعر على الأوضاع التي وصلت إليه مصر.

ويقول الشاعر في قصيدة (أم النوائب) – نوفمبر ١٩٥٣م– :

ماذا فعلنا بهم حتى يضايقنا منهم قرار بكابوس من العمم

هذي العمائم فوق الرأس كارثة فكيف نلبسها في الأشهر الحرم[١]

حيث ثار الشاعر على قرار الأزهر بإلزام الدعاة خاصة أبناء المعاهد الأزهرية بزي معين ويرى أن ذلك ليس من الدين في شيء وعبّر عن ذلك مستعينًا بالاستفهام في قوله :"(ماذا فعلنا بهم ،فكيف نلبسها) حيث يظهر الشاعر فعلًا كلاميًا يتجسد من خلال غضبه الشديد لهذا القرار ، والاستفهام هنا ليس على جهة الاستخبار عن شيء وإنمّا على جهة الاستنكار والرفض لهذا استفهام في هذا السياق (ماذا ، وكيف) يظهر الحيرة والاستنكار.

ويقول الشاعر في قصيدة (عزيز يفارق) – ٢٧ أغسطس ١٩٤٩م – برثى فيها والده :

أمن المصاب وعَظَمة تتوجَّعُ والعين منك سيوليها لاتُقطع

هذي الدموع أراك تذرفها سدى كفكف دموعك إنها لاترجع

ذهب الإمام فما رأيت لــرده سبلًا فهل تجدي الموع وتنفع [٢]

حيث جرَّد من نفسه ذاتًا أخرى يتوجه إليها بالخطاب مهداً من روعها باثًا من خلالها الحزن الذي يسيطر عليه مستعينًا بأسلوب الاستفهام والمتمثل في (أمن المصاب ، هل تجدي) ليس على جهة الاستخبار وإنمَّا على جهة إظهار الحزن والآسى على فقد والده جامع الرفاعي ، الذي مات وترك الشاعر في عمر الزهور حيث وظَّف الشاعر أسلوب الاستفهام للتعبيرعن حزنه بطريقة غير مباشرة من خلال استحضار ذات أخرى يتحدث إليها .

وأسلوب استفهام آخر نعرض له من خلال قول الشاعر في قصيدة (جهاد ضائع):

سئم الفؤاد الزور والتضليلا لانبتغي غير الجهاد سبيلًا

[١] - ديوان هاشم الرفاعي ،٣٧٨.
[٢] - السابق ،٣٨٦.

قالوا : مفاوضة قلت لهم متى أجدت مفاوضة اللئام فتيلًا؟[١]

حيث يستنكر الشاعر قبول وزارة علي ماهر باشا المفاوضات مع الإنجليز فهو يرى أنه لااستقلال بدون حرب وأن المفاوضات لن تجدي لاسيما أن الطرف الآخر من المفاوضات لئام لاعهد لهم ،فاستعان الشاعر في سبيل توصيل مقصده للمخاطبين بالاستفهام ولكن ليس طلبًا للعلم وإنَّما على سبيل إظهار الاستنكار والرفض وقد استُنْبط هذا الغرض من السياق وقد تمثل الاستفهام في قوله(متى أجدت مفاوضة اللئام سبيلًا).

د – النـــــــداء:

يقول الشاعر في قصيدة (تحية الشعر) – ١٧ مارس ١٩٥٤م – يحيي فيها شيخ المعهد :

ياأيها النحرير إنَّ قلوبنـــا حملت لك الإكبار والتمجيـدا

أقسمت مثلك في المجامع نادر يحكي طرازًا في الرجال فريدا[٢]

حيث أراد الشاعر أن يمدح شيخ المعهد ويثني عليه فبدأ القصيدة بأسلوب النداء المتمثل في قوله : (ياأيها النحرير) ولاشك أنَّ النداء هنا ليس على الحقيقة ؛ لأنَّه ليس الغرض منه استدعاء المخاطب وحضوره لأنَّه حاضر بالفعل ،ولكن غرض النداء الذي يمكن يُستنبط من خلال السياق هو التعظيم والمدح لاسيما بعد أن ألقي الممدوح – شيخ المعهد – محاضرة قيمة عن الفطرة الإنسانية وعلاقتها بالدين والتدين .

وجدير بالذكر أن المتكلم لاسيما (الشاعر) كثيرًا مايلجأ إلى النداء تقربًا إلى الذوات التي يقصدها وجذبًا لانتباه المتلقي وتعاطفه ،والملاحظ أن أكثر المخاطبين في شعر هاشم الرفاعي هو الإنسان العربي المسلم الذي دائمًا مايخاطبه الشاعر انطلاقًا من وحدة الدم والنسب والمصير والدين مما يجعل المخاطب يشاركه همومه التي هي في الأغلب همهما معًا .

ومنه قول الشاعر في قصيدة (يوم الجلاء) – ٢٧ يوليو ١٩٥٤م – :

فيا مصر هذي ساعة المجد قد دنت ويا وادي الأحرار عدت لنا حرًا[١]

---

[١] - ديوان هاشم الرفاعي ،٢١٤.
[٢] - ديوان هاشم الرفاعي ، ٣٦٢.

حيث أراد الشاعر أن يحتفل بتوقيع اتفاقية الجلاء بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية فاستعان بأسلوب النداء ليوحي بقرب المنادى إلى قلبه وفخره بها وذلك في قوله (يامصر، ياوادي الأحرار) والنداء هنا لم يأت تعبيرًا عن المعنى الأصلي؛ لأن المنادى غير عاقل فلايمكن أن يكون الغرض من النداء الاستدعاء أو التنبيه وإنمَّا يمكن أن يُستنبط من خلال سياق الموقف أنَّ النداء الغرض منه في الأول (يامصر) إظهار السعادة والبشر باتفاقية الجلاء ،والثاني (ياوادي الأحرار) الغرض منه التعظيم والثناء فقد استغل الشاعر القوة المتضمنة في النداء للتعبير عن السعادة وتعظيم وادي النيل .

ومن ذلك قول الشاعر في قصيدة (فتاة القرية) – ديسمبر ١٩٥٤م – :

رويدك أيتها السائرة على سندس الخضرة الناضرة

أراك مررت بشط الغدير كما مرت النسمة العاطــرة [٢]

حيث أراد الشاعر أن يتغزل في محبوبته غزلًا عفيفًا لينم عن التزامه العاطفي ، وطهارة فؤاده فتخيلها تسير أمامه على السندس في منظر بهيج وقد استعان في غزله بالنداء محذوف الأداة ،ولم يكن النداء على الأصل ؛ لأنَّ المنادى لايسمع النداء فليس الغرض منه الاستدعاء أو التنبيه وإنمّا الغرض الذي يمكن أن يستنبط من السياق هو إظهار الإعجاب بل العشق لمحبوبته حيث استمد الفعل المتضمن في القول القوة الإنجازية من خلال سياق الحال .

[١] ـ السابق ،٢٣٥.
[٢] ـ ديوان هاشم الرفاعي ،١٠٦.

هـ – التمني:

يقول الشاعر في مسرحية شهيد بني عذرة على لسان عروة يخاطب قلبه وقد دنى من دار عفراء معشوقته والتي تزوجت من ابن عمها الآخر (أثالة)رغم شغفها بعروة وشغفه بها :

فيهتف قلبي حين يشتد وجده ألا ليت أوقات الكثيب رواجع[١]

ثم يقول :

فيادارة البلقاء تلك وديعةٌ فياليت شعري هل تصان الودائع

نهاري به الآلام والبث والغنى وإن جنَّ ليلى أنكرتني المضاجع

أراد الشاعر على لسان (عروة) أن يظهر حبه لمعشوقته عفراء وتمنيه أن يعود الزمن بهما للخلف فتوجه بالخطاب إلى قلبه مرة وإلى دارة البلقاء مرة أخرى ،ومن المعلوم أن الكلمة الموضوعة في الأصل للتمني هي (ليت) وقد استعان بها الشاعر في هذا المقام مرتين (ليت أوقات الكثيب رواجع ،ليت شعري) ليشير إلى استحالة تحقيق مطلبه وأمنيته فقد تزوجت معشوقته من ابن عمه رغمًا عنه وعنها فهام على وجهه ولحق به المرض غير المبرر والذي لم يعلم له سببًا فخرج إلى الصحراء في طريقه إلى ديار عفراء (مقر إقامتها في بيت زوجها) ممنيًا النفس أن يلوذ بنظرة منها ولكن هيهات ،كيف له ذلك وقد أصبحت زوجة لآخر هو ابن عمه (أثالة).

ورغم أنَّ الشاعر يدرك تمامًا أن رؤيته لحبيبته أو ظفره بها أصبح أمرًا مستحيلًا لكنه يستغل الشحنة القوية المتضمنة في فعل التمني لينفث عن نفسه مابها من أسى وحزن ويأس قاتل .

وجدير بالذكر أن التمني في شعر هاشم الرفاعي نادرًا جدًا لاسيما أنه يرى أنَّ كل مادعا إليه من وحدة العرب والمسلمين واستنهاض الهمم واستعادة أمجاد الإسلام التي كانت والانتصار على الاستبداد والطغيان أمور ممكنة غير مستحيلة الحدوث .

[١] - ديوان هاشم الرفاعي ، ٤٣٥.